

الدرس 2: اللسانيات، مدخل مفاهيمي، منهجي.

- النشأة الحديثة للسانيات اللسانية Linguistic Linguistique كعلم وذلك بجعل اللغة ذاتها موضوعا للدراسة ولأجل ذاتها، اللسانيات من حيث اللغة مشتق من "اللسان"، و جاء على هذه الصيغة بإضافة ياء النسبة وعلامة جمع المؤنث السالم على منوال علوم الرياضية "رياضيات" وعلوم الطبيعة "الطبيعيات". كاصطلاح معاصر يقصد به تعريف العلوم.

كان في بداية القرن العشرين حيث بدأ البحث اللغوي طابعاً علمياً مع العالم السويسري فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure) 1913م. وقد كان يُعرف بأب اللسانيات الحديثة، ورغم أنه اهتم بدراسة اللغة دراسة تاريخية، إلا أنه خصّص فصلاً مهماً للدراسة اللغوية التزامنية والذي كان له تأثير كبير في الدراسات اللسانية الحديثة، وهو فصل نشره إثنان من زملائه هما تشارلز بالي (1947م) Charles Bally والبرت شيشيهيه (1946م) Albert Sechehaye في كتاب "محاضرات في الألسنية العامة cours de linguistique générale" بعد أن قاما بجمع محاضراته من الطلبة. لقد عدّ هذا الكتاب ثورة في الدراسات اللغوية الحديثة.

فهي دراسة علمية دقيقة للغة تميزها لها عن الجهود الفردية والملاحظات والخواطر التي اهتم بها الأولون والمتقدمون، أي ليس كلّ ما كتب على اللغة يدخل في اللسانيات، هو دراسة علمية للغة، هو علم جديد، وعند ظهوره طرحت تساؤلات: منها ما علاقته بالعربية وما صلته بالنحو؟

فبدأ الباحثون يهتمون بالمنهج التزامني في دراسة اللغة، فظهر المنهج الوصفي في أمريكا مع فرانز بواز Franz Boas وهو منهج شرّحه في مقدمة كتابه "دليل اللغات الهندية الأمريكية Handbook of America Indian Languages" وكان له فضل كبير على اللسانيين الذين جاؤوا بعده والذين اهتموا كثيراً بدراسة لغات السكان الأصليين للقارة الأمريكية التي كانت معرضة للانقراض، وقد كانوا يدرسون هذه اللغات باعتبارها أنظمة مستقلة عن غيرها. ومن اللسانيين البارزين نجد اللساني الأمريكي المتوفي عام 1949 ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield والذي اهتم في إطار المدرسة السلوكية بدراسة اللغة دراسة موضوعية ودعا إلى التوسّع في جمع المادة اللغوية المدروسة وإخضاعها لتحليل علمي منظم.

ثم جاء نواو تشومسكي Noam Chomsky وانتقد المدرسة السلوكية وأكد أنه مهما جمعنا المادة اللغوية فإنّ هناك عدداً غير محدود من التراكيب اللغوية لأن المتكلمين قادرين على تأليف تراكيب جديدة لم تسمع من قبل، لذلك وجب الاهتمام بمقدرة المتكلم التي تتيح له هذا الإبداع اللغوي وليس بالجمال اللغوية نفسها. غير أن أفكار تشومسكي انتكست بعد ظهور ما يُعرف بعلم التخاطب Pragmatics الذي تُرجم بالذرائعية وبالتداولية، ويتلخّص في أنّ دراسة اللغة بمعزل عن السياق وبمعزل عن العناصر المرتبطة بالخطاب كالمخاطب والمخاطب والمعارف والخبرات السابقة والعناصر المكوّنة للمقام التخاطبي وقدرة المتخاطبين على الاستنتاج سيكون أمراً غير سليم على الإطلاق للتوصّل إلى الفهم السليم للكلام.

انطلاقاً مما سبق فإنّ اللسانيات أصبحت هي الدراسة العلمية الموضوعية والوصفية للسان البشري، فالعلمية نسبة إلى العلم بما في ذلك من قوانين وتجربة و تحليل، والوصفية تعني دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، والغور في باطنها الاستكشاف أسرارها واستكناه جوهرها. وباعتماد العلمية و الوصفية فإنّ اللسانيات تفترض ما يلي:

اعتماد ملاحظة الظواهر اللغوية والوصف والمعاينة و التجربة والاستقراء و الموضوعية التي تتجرّد عن الميول والأهواء الشخصية و الاعتماد على نماذج لسانية قابلة للتطور

فأيّ دراسة علمية لموضوع معيّن تخضع منهجياً إلى شروط:

1-موضوع محدّد

2-مجال علمي محدّد

3-منهج بحثي محدّد

4-علاقات قائمة بين هذا المجال المحدّد والعلوم الأخرى.

متى يكون الموضوع علمياً؟

نوعان من العلوم من حيث الموضوع:

1-علوم تجد موضوعها الذي ينشغل به جاهزاً. مثل علوم الأرض وعلوم الحياة. الأرض وطبقاتها، مكوناتها، وعلم الطب، موضوعه جسم الإنسان، أطرافه وأعضاؤه، أمراضه،

2- وعلوم يحتاج موضوعها إلى بناء، أي هو غير موجود مسبقاً، ويحتاج إلى وضع موعده، وتحديده.